Designed by
Amany Ezz

كلهن بشر إلا أنت حياة

حنان أحمد

كلهم بشر

إلا أنت حياة

التصنيف: نوفيلا

المؤلف : حنان حنفي أحمد

تصميم الغلاف : اماني عز

الإخراج الفني:

موقع اسرار للنشر والتوزيع الالكترونى

علم يوسف أن ببحثه بأوراق والده رحمه الله أنه سيصادف الكثير من الأسرار والمفاجآت؛ لذلك قرر أن يبحث بعد وفاة والده بعام؛ فهو لم ينسى قط أنه كان بالخارج يتابع عمله عندما تلقى نبأ وفاة والده، شعر يوسف بوخزة في صدره عندما وصل إلى تلك النقطة من ذكرياته، ثم أثناء بحثه وجد مظروف من والده به خطاب موجه له فقرأه وما إن انتهى اندهش تماما مما قرأه، ثم قرر أن يشرع في أمر ما؛ فأمسك بالهاتف وطلب رقم الدكتورة ندى وكان الحديث كالآتي:

يوسف:

- دكتورة ندى ؟

ندى:

- نعم أنا

- أنا يوسف ابن الحاج محمد زيدان رحمه الله

- مرحبا بك .. والحمد لله على سلامتك لقد كنت أعلم أنك بالخارج

- نعم لقد عدت منذ عام تقريبا.. ولقد كنت أود أن أطرح عليكِ أمرًا

- تفضل ما هو؟

- سنقوم برحلة بحرية الخميس القادم بالباخرة لمدة أسبوعين، وستكون إلى مكان رائع بحق، ولم أجد طبيب أفضل منكِ ليرافقنا في هذه الرحلة خاصَّة وأنه سيرافقنا مريضًا بالقلب وأخشى أن يصيبه مكروه

- ولكن المشفى لن توافق لي على الإجازة

- اتركي لي موافقة المشفى وسأخصص أنا لكِ أجر مرضي

- أنا لا يهمني الأجر، أنا سآتي فقط لأجل والدك رحمه الله؛ فقد كان لي بمثابة الوالد وله فضل كبير عليّ لذا لن أتأخر عليك في أي طلب

- ونحن سنكون سعداء بوجودك معنا.

انتهت محادثتهم إلى ذلك ثم أخذت تتذكر ندى ما حدث قبل عامين من الآن عندما كانت طبيبة في بداية حياتها، وكانت

متفوقة للغاية وهذا ما جعل أستاذها وأيضًا مديرها في المشفى يرشحها لأن تتولى رعاية الحاج محمد زيدان الذي كان يكره أن يمكث بالمشفى برغم مرضه الشديد؛ لذلك كان يتلقى علاجه بالمنزل، وفي بداية الأمر كانت ندى تشعر بأنه لا يثق في قدرتها على رعايتها له نظرا لصغر سنها وقلة خبرتها ولكن مع الوقت وجدته يثق بها ويعاملها كابنته؛ لذلك أحبته كثيرًا ورأت فيه والدها الذي توفى وهي صغيرة، وفي النهاية عندما توفى اتهمتها ابنته يمنى بأنها السبب في وفاته ومع ذلك فعلت هي الواجب معها عندما أصيبت يمنى بانهيار عصبي؛ أخذت ندى تعتني بها، ولكن عندما تحسنت حالتها رفضت أن تقابلها لذا قررت ندى أن تبتعد عن هذه العائلة، ولكن ها هي تعود من جديد لتعمل معهم مرة أخرى.

***

كانت الباخرة جميلة وكبيرة بالفعل، وأخذ أصدقاء يوسف ينتقون غرفهم ويرتبون أشيائهم بها، ثم اقترب حسن الصديق المقرب من يوسف منه عندما وجده شاردًا وقال له:

- بماذا تفكر ؟

- لا شيء

- ولكني أشعر أنك تفكر في تلك الفتاة التي سترافقك في هذه الرحلة

- هذه الفتاة ستكون مفاجأة للجميع

- أشعر أنها ستكون مفاجأة لك أنت أيضا

اندهش يوسف وقال:

- حسن.. كيف عرفت ذلك؟!

- لأنني كنت معك دوما ولم أراك تختلط بأي فتاة مما حولنا منذ وفاة والدك

- أرجوك يا حسن كفى ..هذه الرحلة للاستمتاع فقط

- ولكن..

- انتظر قليلا وستتعرف عليها وتراها بنفسك.

وخلال هذا الحديث صعدت فتاة على الباخرة، كانت جميلة ملابسها أنيقة وبسيطة بحجابها الوردي الأنيق الذي كان يناسب حمرة خديها مما زاد من جمالها، وقد لفتت انتباه كل من يوسف وحسن ثم اقتربت منهما وقالت:

- أنا دكتورة ندى

- مرحبا بكِ ..أنا يوسف، لقد سعدت بمرافقك لنا في هذه الرحلة

- أشكرك.. أنا أيضًا سعيدة بهذه الرحلة، حيث أنني لم أقم برحلة مماثلة لها من قبل، ولكن إلى أين ستذهب بنا هذه الباخرة؟

- هذه الرحلة ستكون مفاجأة للجميع

- سأنتظر المفاجأة إذن

تدخل حسن وأخذ يعرف نفسه لندى وقال:

- أنا حسن صديق يوسف

- مرحبا تشرفت بمعرفتك

ثم همست ندى في أذن يوسف وقالت :

- هل هو المريض؟

- لا داعي لذكر ذلك أمامه الآن

- حسنا سأذهب أنا لأرتب أغراضي.

ما إن ذهبت حتى بادر حسن قائلا:

- معك حق إنها حقا مفاجأة، ولكنها ليست نوعك المفضل فأنا أراها ملتزمة أكاد أشعر ببرائتها من اول وهلة

- لا تتعجل الحكم عليها ودعنا نرى الحقيقة بأنفسنا.

***

أخذت ندى ترتب أغراضها وشعرت أن غرفتها مريحة مع هواء البحر الهادىء، ثم أخذت تنظر من الشباك الصغير لتتأمل البحر منه، وتذكرت فجأة حديث الحاج محمد إليها عن يوسف ابنه:

(لقد سافر يوسف فور تخرجه إلى الخارج وأنشأ شركة خاصة به هناك وكان في بادىء الأمر كل فترة يأتي لزيارتي ليطمئن عليّ ويتابع أخبار العمل هنا، ولكن مع الوقت أصبحت زياراته لي قليلة، مما جعلني أقلق عليه، واشتد بي المرض وقتها، وما زاد من قلقي عليه هو معرفتي بأنه قد تزوج من أجنبية هناك، وبعد ذلك عندما علم بعدم موفقتي لهذا الموضوع والمرض الذي اشتد بي وقتها طلقها، ولكنى تقصيت عنه فعلمت أنه طلقها وينوي الزواج بأخرى أجنبية أيضًا، ولكنها كانت مسلمة فلم يهدأ بالي منذ ذلك الوقت واستبد بي القلق عليه، إلى أن رأيتكِ يا ندى، ليت يوسف كان تعرف عليكِ حتى يرى أن بمصر كنز كبير اسمه الفتاة المصرية، ومع ذلك ابني يوسف معدنه طيب ذو قلب كبير، أذكر أنه سافر للخارج عندما لاحقته ذكرى وفاة والدته فقد كان يبكي كلما رأى صورتها أو تحدث أحد أمامه عنها، والغريب في الأمر

أنني عندما رأيتكِ استشعرت بروحها بكِ، وهدأت نفسي ورفرف الحب والأمان ثانيًة من حولي).

هذا الحديث عن يوسف جعلها تشتاق للأن تراه، وكان كلما تحدث والده عنه أمامها تعلقت بفكرة رؤيته أكثر، وها هي الآن تراه عن قرب ويجمع بينهما مكان واحد، ثم تذكرت أخته يمنى التي كانت تكرهها كثيرا وتعاملها معاملة سيئة، و تذكرت أيضًا شيء عجيب، ألا وهو أن الحاج محمد رحمه الله لم يكن يذكر ابنته في حديثه أبدا؛ حتى وإن جمعهم مكان واحد لم يكن يتحدث إليها قط، وقد شعرت هي بالفضول لمعرفة السبب في ذلك.

***

أثناء الغداء جلس الجميع سويا ليتناولوا الطعام وأخذ أصدقاء يوسف يتسائلوا عن رفيقته التي لم يلتقوا بها من قبل فأجابهم يوسف وقال:

- ندى صديقة مقربة لي وأيضًا هي كانت طبيبة والدي رحمه الله

فبادرت ناهد صديقة حسن بسؤال ندى :

- هل أنتِ دكتورة ندى التي كانت تعتني بالمرحوم أثناء مرضه؟

ندى:

- نعم أنا هي

- لقد تشرفت بعرفتك

- وأنا أيضًا.

و عندما انتهى الجميع من الغداء سأل حسن ناهد كيف تعرف أن ندى كانت طبيبة المرحوم فقالت له :

- لقد قالت لي يمنى أخت يوسف كل شيء عن ندى هذه والمفاجأة أنها قالت لي أن ندى شخصية سيئة، حيث أنها في بادىء الأمر أرادت أن تتزوج من المرحوم ثم عندما فشلت في تحقيق مرادها قتلته

- ماذا تقولين؟!.. لقد توفى المرحوم وفاة طبيعية إثر قلبه المريض

- ليس صحيح .. صدقني هذا ما أكدته لي يمنى، وأنت يجب أن تحذر صديقك منها.

وعلى الجانب الآخر من الباخرة كانت تقف ندى وحدها تفكر لمَ قد قال يوسف عنها أمام أصدقائه أنها صديقته المقربة وهي لم تقابله سوى اليوم فقط، ثم انضم إليها يوسف وكأنه قرأ أفكارها ثم قال:

- أنا آسف أنني أخبرتهم بأنكِ صديقة لي

- لماذا قلت لهم ذلك؟

- لأنهم منذ أن علموا بقدومك معنا وهم يتسآلون عما يربطنا ببعضنا البعض، ويظنون أنكِ رفيقتي في هذه الرحلة

- و لكني لست رفيقة أحد، أنا هنا بصفتي طبيبة فقط

- و لكنها رحلة وستنتهي سريعا، وكنت أود أن تكوني رفيقتي بها، لأنهم جميعا هنا كما ترين كل فرد معه رفيقته وأنا وحدي كما ترين ولم يتسنى لي إحضار رفيقة معي

استفزها حديثه وقالت بنفاد صبر:

- هذه ليست مشكلتي

- حتى وإن عرضت عليكِ النقود لقاء ذلك، والتي تحددي قيمتها بنفسك

اندهشت لجرأته وشعرت بجرح مشاعرها مما قاله فقالت بحدة:

- أنا لو كنت أعلم أنك تفكر بهذه الطريقة ما كنت وافقت أبدا على القيام بهذه الرحلة، أنا سأعود من فوري ولن انتظر دقيقة واحدة.

مضت مسرعة وتركته واقفا مكانه ليس مندهشا من موقفها، وكأنه كان متوقع حدوث ذلك، ثم ابتسم وقرر أن يتركها هكذا دون أن يعتذر لها.

أخذت ندى تفكر كثيرا غير مصدقة ما قاله يوسف لها؛ فقد كانت تظنه شخص محترم مما عرفته عنه من والده، ولكن يبدو أنها خُدعت فيه، ثم قالت لنفسها ربما تأثر بطبيعة الغرب، ثم أخذت تتأمل البحر من نافذتها الصغيرة إلى أن تنبهت إلى نقطة ما، ألا وهي تُرى ما هي شكل تلك الصداقة التي ستجمعهم، أو كيف ستكون رفيقته في تلك الرحلة؟!، ثم تذكرت المريض الذي يرافقهم في الرحلة، حيث كيف تتنصل من المسؤولية وتغادر وتتركه؛ فكادت أن تجن من التفكير، واندهشت من يوسف لأنه لم يحاول أن يأتي إليها ليعتذر منها وكأنه لم يفعل شيئا؛ فقالت لنفسها: ربما يرى نفسه غير مخطىء وأكون أنا من بالغت في ردة فعلي .. ماذا سأفعل الآن؟ ثم طرأت لها فكرة، وكانت وكأنها تتلألأ في البحر أمامها ثم شرعت في التنفيذ.

***

أخذت ندى تبحث عن يوسف فلم تجده فسألت حسن عنه فأخبرها بأنه في غرفة الموسيقى فقالت له أنها ستذهب إليه من فورها، ثم ذهبت ندى إلى غرفة الموسيقى لتجده يعزف على البيانو ويغني؛ فأخذت تسترق السمع من خارج الغرفة فوجدته يغني أغنية مألوفة لها بل وقريبة من قلبها وهي :

(وحدي بلا أحباب أعيش كل اليالي .. لا حب لا أصحاب مللٌ هي أيامي)

كانت أغنية لسيمون من مسرحية (كارمن)، وقد استحسنت ندى صوت يوسف، وشعرت به وكأنه وحيد كما بالأغنية التي يرددها، ثم تقدمت خطوة وتراجعت فجأة وقد قررت ألا تتحدث إليه الآن، وكأن هذه اللحظه هي لحظة ضعفها هي و ليس هو.

***

انتهى يوسف من عزفه وعندما غادر غرفة الموسيقى رأى حسن الذي بادر بسؤاله:

- هل رأيت ندى لقد كانت تبحث عنك؟

- لا لم أراها.. هل أخبرتها أين كنت؟

- نعم وقالت أنها ستذهب إليك على الفور

شرد يوسف بفكره قليلا وأخذ يفكر أنها ربما سمعته وهو يغني فقال :

- ولكن لماذا لم تتحدث معي؟

- ماذا تقول؟

- لا عليك سأذهب إليها الآن.

لم يفهم حسن شيئا ولكنه شعر أن صديقه غير طبيعي بالمرة.

***

كما توقع يوسف وجد ندى تجلس وحدها في مقدمة الباخرة؛ فقد كان ذلك أجمل وأرق مكان على الباخرة، وعندما اقترب منها وجدها تدندن نفس أغنيته وكأنها هي أيضا تعاني من الوحدة مثله، وانتظرها حتى تنتهى لكنه

وجدها تعيد الأغنية من جديد، وكلما انتهت تغني من جديد فلم يستطع أن يمنع نفسه من الضحك؛ فسمعته وتملكها الحرج تماما فقالت:

- منذ متى وأنت هنا؟

- لا أعرف بالضبط فقد قررت أن أسمعك حتى تنتهي.

لم يريد أن يضحك وهو يتحدث معها منعا لشعورها بالحرج أكثر، ولكن هي كانت محرجة بالفعل ولم تستطع أن تنطق بكلمة؛ فقال هو:

- استنتج من أغنيتك القصيرة تلك أنكِ قد سمعتني وأنا أغني

- نعم لقد سمعتك وشعرت أنك لا تريد أحدا معك بتلك اللحظة؛ لذا قررت أن أتحدث إليك لاحقا

- كيف أريد أن أكون وحدي والأغنية تتحدث عن لسان حالي..

ولكن أرى أن الأغنية قد أعجبتك كما رأيت الآن

- أنا أحبها منذ أن سمعتها للمرة الأولى، ولكنها لاتعبر عن حالي

- لكنها تعبر عن حالي أنا

- كيف بشخص مثلك يعاني من الوحدة؟!

- أنا وحيد برغم كل من حولي لذلك طلبت منكِ أن تكوني رفيقتي في تلك الرحلة؛ فكل شخص هنا كما ترين معه صديقته أما أنا فلم تسنح لي الفرصة لاصطحب أحد، وبالمناسبة نحن نفعل ذلك فقط للحفاظ على المظهر الاجتماعي ليس أكثر

- أنا لا أفهم في تلك الأشياء، ثم مهلا لقد أخبرني والدك يوما أنك كنت متزوج عندما كنت بخارج مصر من أجنبية

- بالفعل قد حدث ذلك ولكني كنت أظن وقتها أنها تناسب شخصي، ولكني انخدعت بها؛ فقد كانت تستغلني، وعندما علمت بغضب والدي بسبب زواجي منها طلقتها وقررت العودة، ولكن عندما عدت تقبلت فيه العزاء

- أنا آسفه أني قد ذكرتك بكل ذلك

- لا عليكِ والآن أخبريني لماذا كنتِ تبحثين عني؟

- ماذا سيكون دوري بالضبط؟

- هل اشفقتي عليّ نظرا لأني وحيد؟

- ربما

- حسنا سيكون دورِكِ هو أن تكوني إلى جانبي فقط

- موافقة ولكن لي طلب عندك إذا كان في استطاعتك تحقيقه

تنبهت حواسه كلها لها وقال بفضول:

- ما هو؟

- هل تستطيع أن تستكمل بناء وتجهيز مشفى الأطفال التي كان والدك يجهزها قبيل وفاته؟

اندهش من طلبها وأكملت هي وقالت:

- وتجعلني أعمل بها؟ .. فأنا أعشق الأطفال ويسعدني أن أخفف من آلامهم قدر استطاعتي، وتلك المشفى كانت حلم والدك رحمه الله لذلك كان ينهيها على عجلة

أسعده طلبها كثيرا وخاصَّة وأنها قد أحبطت ظنه السيء بها فقال:

- ما رأيك بأن تكوني أنتِ مديرتها؟

- ليس لهذه الدرجة، تواجدي بها كطبيبة يكفيني، هل هذا يعني أنك قد وافقت على انهاء ما بدأه والدك

.نعم بالطبع، ويسعدني ذلك كثيرا.

باتت ندى هذه الليلة سعيدة للغاية وكأنها تملك الدنيا وما فيها، ولم تعرف حقا ما كان هو سر سعادتها.. هل كان لأنه وافق على طلبها.. أم لأنه قد كبُر في نظرها من جديد؟

***

برغم موافقة يوسف على طلب ندى إلا أنه شعر بالحيرة منها؛ فهل هي فتاة صالحة كما وصفها والده؟.. أم أنها فتاة لعوب شرعت في التلاعب بوالده ليتزوج منها وفي النهاية قررت أن تقتله عندما فشلت في الزواج منه كما أخبرته أخته يمنى، أخذ يتذكر أنه منذ عودته من الخارج وهو لم يسمع عن

ندى سوى أسوأ الحديث عنها، وأنها قد قتلت والده دون أن تترك خلفها أي أثر لذلك، وبالطبع ثار يوسف عند سماعه لذلك، ولكنه مع الوقت شعر أنه كلام غير منطقي بالمرة، حيث كيف تقتله عندما تفشل في الزواج منه!! بماذا ستستفيد من قتله ؟! ثم قرر أن يحسم ذلك الموضوع وأخذ يبحث بأوراق والده التي لم يكن أحد يعلم بمكانها سواه ثم وجد مظروف قد تركه له والده؛ فأخذ يقرأ الخطاب الذي كان محتواه الآتي :

أعلم أن الفرصة لن تسنح لي لأودعك لذلك قررت أن أكتب إليك كل ما كنت أريد قوله لك في ذلك الخطاب، لطالما أحببتك يا يوسف وأردت أن تستقر إلى جانبي، ولكن لم يحدث ذلك وتزوجت من أجنبية وتحملت أنا مشقة ذلك؛ فقد كانت صدمتي بك كبيرة، ولكني أعلم أنك ستصلح ما أفسدته، ولكن هذه المرة أنا اخترت لك فتاة صالحة تصونك وترعاك كما كانت والدتك رحمها الله، وستجد بها كل

الصفات التي تتمناها وستجد لديها حنان يملؤ الدنيا بأسرها، لذا أرجو منك أن تتزوجها وتتقي الله فيها، ولكن إن لم تتزوجها اعطها هذا الشيك قد كتبته باسمها بمليون دولار كما ترى، ولك أن تختار إما أن تتزوجها أو تعطيها نقودها، وأنا أعلم جيدا أنك لن تظلمها، إن هذه الفتاة يا يوسف كانت ترعاني أثناء مرضي، ورأيت بها ابنتي التي لطالما أردت أن أرى ابنتي مثلها، ولا أخفيك سرا أنني كلما رأيتها كنت أرى والدتك بها، لذلك اخترتها لك وأنا على ثقة أن سعادتك ستكون معها وراحتك ستكون بجوارها كما كنت التمس كل ذلك في وجود والدتك رحمها الله.

عندما قرأ يوسف ذلك الخطاب قرر أن يرى تلك الفتاة ويتحدث إليها عن قرب، ولم يجد سوى تلك الرحلة لتحقيق مراده، وكم تمنى أن يكون حديث أخته عنها خطأ.

***

ذهب حسن إلى يوسف بغرفته ليتحدث إليه فرآه مستغرق في التفكير فخشي عليه أن يكون يفكر في ندى؛ فقرر أن يتحدث إليه، وفي أثناء ذلك كانت ندى تبحث عن يوسف عندما رأتها ناهد فقالت لها:

- هل تبحثين عن يوسف؟

- نعم لقد كنت أريده في شيء

- إنه بغرفته ومعه حسن.. لقد شعرت أنهم يريدون الانفراد بنفسهم، ربما حدث شيء ما.

شعرت ندى بالقلق وخشيت أن يكون حسن يشكو من شيء ولا يريد إثاره القلق فذهب إلى يوسف؛ فاستئذنت من ناهد وذهبت إليهم على الفور وعندما اقتربت ندى من الغرفه سمعتهم بوضوح يتحدثون عنها وقد كان حديثهم كالآتى:

- صدقني يا يوسف لا تثق في هذه الفتاة فقد أخبرتني ناهد أن يمنى أختك أخبرتها أن ندى قتلت والدك بعدما فشلت

في الزواج منه، وأنا أرى أنها تحاول أن تكمل ما بدأته مع والدك ولكن معك أنت

- أنا على علم بكل ذلك

- إذن فأنت تسعى للانتقام منها أليس كذلك؟

كادت ندى أن تقع من هول ما سمعت ولم تستطع أن تتمالك نفسها أكثر من ذلك فعادت إلى غرفتها سريعا ولم تسمع باقي حديثهم وقد استكملوا حديثهم :

- أنا لا أسعى للانتقام منها لأنني لا أثق في حديث يمنى عنها من الأساس؛ فأنا قمت بترتيب هذه الرحلة من أجلها لأعرفها عن قرب وأعرف الحقيقة

- بماذا ستفيدك الحقيقة أنا لا أفهم ؟

- الكثير يا حسن لأن زواجي منها وصية والدي لي، وأنا لن أخذله مرتين وسأصلح ما أفسدته بإذن الله.

***

اجتمع الجميع على الغداء ولم يكن من بينهم ندى فسأل عنها يوسف فأخبره الجميع أنه لم يراها أحد منذ الصباح، ولكن ناهد قالت:

- أنا رأيتها صباحا كانت تبحث عنك يا يوسف

فاستأذن يوسف منهم ولم يتناول غداءه، وقرر أن يذهب إليها.

أخذ يطرق يوسف على باب غرفتة ندى فلم تجيبه؛ فأخذ يبحث عنها في جميع أنحاء الباخرة فلم يجدها؛ فقلق عليها وقرر أن يعود لغرفتها مرَّة أخرى، وأخذ يطرق على الباب هذه المرة بقوة، ولكن ما من مُجيب فشعر بالخوف عليها من أن يكون قد أصابها مكروه، وتعالت ضربات قلبه فجلس ليستريح ويلتقط أنفاسه قليلا، ثم وجدها وقد فتحت الباب أخيرا فقام من جلسته ليراها شاحبة للغاية وعينيها حمراوين وكأنها كانت تبكي منذ فترة فقال:

- ماذا حدث لتغلقي عليكِ غرفتك هكذا، ألم تسمعي طرق الباب.. و ما سر بكائك ؟

- أرجوك اتركني وشأني

- أخبريني ماذا بكِ؟ .. أنا لن أتحمل أن أراكِ هكذا فأنا متعب حقا

ثم جلس يوسف ليستريح مرَّة أخرى وكان يبدو عليه التعب والارهاق للغاية، ولم يستطع التنفس فأسرعت ندى إليه وقالت:

- ماذا بك.. هل أنت متعب؟

- أشعر بالاختناق.. و لا أستطيع أن...

- هيا تعالى معي لأفحصك وأرى ما بك.

***

جلست ناهد مع حسن وأخذت تقول له:

- لقد رأيت يوسف يدخل إلى غرفة ندى، وأغلقت هي الباب خلفه باحكام

- لقد أخطأتِ الفهم بالتأكيد فهو يريد أن يتحدث معها فقط

- أنت لاتعلم شيئا هذه الفتاة ستنول هذه المرة ما تريده؛ ستستولى على ماله كله

- أرجوكِ يا ناهد لا تتحدثي عنها كذلك لأن يوسف يراها عكس ذلك تماما، وهو يحترم وجهة نظر والده عنها

- أرى أنها سيطرت عليك أنت أيضا

- ناهد كفاك هراء لقد سئمت حديثك عنها.

اغتاظت ناهد كثيرا وقالت لنفسها: ألم أكن أنا أولى بيوسف هذا فقد رضيت بحسن وهاهو الآن أصبح يعاملني وكأنني عدوته ولكني لن أتركها لتفعل ما يحلو لها.

***

جلست ندى تفحص يوسف ثم قالت له:

- هل حدث لك هذا من قبل؟

- ندى أرجوكِ أنا أعلم أنكِ طبيبة ماهرة ولكني بخير ولست أعاني من شيء

- أنت متعب بحق وأنا أخشى أن...

- انتظرى أنا أريد أن أعلم الآن ماذا بكِ؟

ترددت ندى قليلا قبل أن تجيبه ثم قالت:

- لقد سمعت حديثك أنت وحسن بخصوصي عندما ذهبت إليك لأحدثك في أمر ما واندهشت مما سمعته؛ فأنا لم أكن الشر لأحد أبدا، وقد عاملت والدك وكأنه والدي الذي توفى وأنا صغيرة، ولا أهتم لذلك المال الذي تتحدثون عنه فكيف تتهموني جميعا بكل هذه التهم؟

- أفهم من حديثك هذا أنكِ لم تنتظري لتسمعي باقي حديثنا

- لقد كدت أن أنهار من هول ما سمعت

- دعيني أوضح لكِ بعض الأمور وستفهمين كل شيء

ثم أخذ يشرح يوسف لندى.

***

اقتربت فتاة من حسن وقالت له :

- هل الحديث الذي سمعناه عن ندى صحيح يا حسن ؟

- ماذا سمعتي و من مَن؟

- لقد سمعت أن يوسف بغرفتها منذ ما يقرب من ساعة وناهد أكدت ذلك

- ماذا؟.. ناهد!!

ذهب حسن إلى ناهد وهو غاضب للغاية وقال لها:

- ماذا فعلتي يا ناهد .. ألم أقل لكِ أن...

- أنت لا تملي عليّ ما أفعله وما لا أفعل أنا حرة

- هكذا إذن .. لقد انتهى كل شيء بيننا، أنا لن أكمل معكِ

- كل ذلك من أجلها.. أنت لا تعلم ما ستخسر

- أنا أعلم جيدا ما سأخسر .. فقد أخسر صديق عمري بسببك.

بعد ذلك سرعان ما انتشر كل ما قالته ناهد عن ندى وباتت ندى فتاة لعوب وسيرتها تخوض فيها ألسنتهم جميعا .

أخذ يوسف يشرح لندى ويقول :

- غيرة أختي الحمقاء منكِ هي ما جعلتها تقول عنكِ ما قالته، وكدت أن أصدقها في بادىء الأمر، ولكن بعد ذلك شعرت أن ما قالته غير منطقي بالمرة

- و لكني لم أفعل لها شيئا لتدعي عليّ تلك التهمة الشنيعة

- بلى فعلتي

نظرت له مندهشة فأكمل وقال:

- لقد فعلتي كل شيء جميل مع والدي مما جعله يحبك ويعاملك كابنته التي كان يرجو أن تكون مثلك

شعرت ندى بمرارة حديثه فسألته:

- ماذا فعلت يمنى ليعاملها والدك هكذا ؟.. فقد كان يتجنب الحديث معها وعندما تزوره يشتد به المرض أكثر؛ بل ولم يتحدث يوما عنها كما كان يتحدث عنك

- هل كان والدي يتحدث عني؟

- نعم كثيرا

- ماذا كان يقول عني ؟

شعرت بأنه يتهرب من الإجابه عليها فقالت:

- لم يمر يوما دون أن يتحدث عنك وكان يقول دوما أنك ستعود وتستقر إلى جانبه وتفعل ما يريده منك ..

- وماذا أيضا؟

- كان يقول أنك طيب القلب وقلبك هذا كبير للغاية و أنك..

- أني ماذا أرجوكِ أكملي

- أنك كنت تحب والدتك كثيرا وأنك سافرت إلى الخارج لتتغلب على حزنك على وفاتها.

دمعت عين يوسف على ذكر والدته التي كانت تمثل له الحياة وما فيها فقالت ندى:

- أنا آسفه لم أكن أريد أن أضايقك

- لا عليكِ ولكني الآن تأكدت تماما أن والدي كان يحبك ليخبرك بكل هذا، و لكن هل قال لكِ حقا أنني سأعود و سأفعل ما يريده

- نعم لقد كان واثق من ذلك

ابتسم يوسف وقال:

- وأنا لن أخيب ظنه.

***

عندما رأى يوسف حسن وجده متوترا للغاية فسأله :

- ماذا بك؟

- انا آسف يا يوسف ولكن صدقني فلم يكن لي يد في ما قالته ناهد عنك أنت وندى

- وماذا قالت ناهد؟

- لقد أشاعت عن ندى أشياء سيئة وأنه هناك علاقة تجمع بينكما، وعندما سمعت بذلك قطعت علاقتي بها على الفور

- أنا أصدق أنه لا دخل لك بما حدث ولكن ماذا سأفعل الآن؟

- يجب أن تُخرس ألسنتهم جميعا

- حسنا سأعلن لهم أن ندى خطيبتي ولن أجعل أحدا يجرحها ولو بكلمة

***

أخذت ندى تتأمل البحر عندما رأتها إحدى الفتيات وقالت لها :

- ألف مبروك على الخطوبة

- خطوبة من؟

- خطوبتك على الأستاذ يوسف

أخذت ندى تفكر في حيرة مما سمعته من تلك الفتاة؛ فأرادت أن تتأكد من يوسف فذهبت لتسأله على الفور.

وجدت ندى يوسف جالسا يفكر فباغتته بسؤالها:

- من أعلن خطوبتنا؟

- هل هذا ما يضايقك كما أرى؟

- أرجوك لا تتهرب من سؤالي

- أنا من أعلنت ذلك، حيث أن هناك فتاة على الباخرة قد أشاعت أن هناك أمرا بيني وبينكِ، وأنا أردت أن أنهي أية إشاعة تسيئك.. فهل أخطأت في ذلك ؟

- كان يجب أن تأحذ رأيي أولا

- و ما هو رأيك ؟.. أريد أن أعرف الآن.

لم تعلم ندى بما تجيبه فقد فوجئت بسؤاله، ولم ينقذها من ذلك الموقف سوى بعض الفتيات الاتي اقتربوا منهم وأخذوا يهنئونها، ثم طلبوا منها أن تأتي معهم لأنهم أحضروا لها مفاجأة؛ فاستأذنت من يوسف وذهبت معهم، وعندما ذهبت هي؛ جلس يوسف يفكر في ندى كم هي جميلة وطيبة القلب مثلما قال والده عنها، ثم فاجأه رنين الهاتف الخاص بها، ولفت انتباهه اصرار الطالب على الاتصال؛ عندما اتصل أكثر من مرة؛ فنظر إلى الهاتف وجد اسم المتصل (قلبي) فلفت الاسم انتباهه، ثم بعد ذلك توقف الرنين

واستقبل الهاتف رسالة؛ فلم يستطع يوسف أن يمنع نفسه من قراءتها و قد كان نصها كالتالي :

(لقد عدت إلى القاهره منذ يومان ولا أستطيع أن أصبر يوما آخر؛ سآتي أنا ووالدتي إليكم في المنزل لأطلب يدك فحددي أنتِ الموعد المناسب لكِ)

بعد قراءة يوسف لتلك الرسالة قال في نفسه : لذلك كانت غاضبة من إعلان خطوبتنا، ولكن لماذا شعرت أنها تبادلني شعوري؟ ..للأسف يا أبي لن أستطيع أن أحقق ما أردته مني، ليس بيدي هذه المرة.

ثم شعر يوسف بخفقان قلبه بقوة وعندئذ أتت ندى وقد كانت سعيدة للغاية، ولفت انتباهها شحوب وجه يوسف وتوتره فقالت له:

- ماذا بك ؟.. تبدو متعبا

- هل يهمك أمري حقا ؟

قالها باستهزاء واضح

اندهشت ندى من لهجته معها فقالت:

- هل حدث شيء ؟

- أرجوكِ اتركيني وشأني، وللعلم فقط هذه الرحلة قد تم إلغاؤها .

قالها ثم مضى وظلت هي واقفة مكانها في ذهول تام لا تعرف ماذا حدث ليتحدث إليها هكذا!!.. فقد كانا الاثنان على ما يرام، ثم أخذت تبكي رغما عنها؛ فمنذ أن بدأت تلك الرحلة وهي تتعرض للأذى وها هي في النهاية لن تكتمل.

***

أخذت ندى ترتب أغراضها، وكانت دموعها تنساب على خديها، ثم سمعت طرقات على الباب فجففت دموعها، وفتحت الباب لتجد حسن أمامها الذي قال بسرعة :

- ندى .. يوسف متعب للغاية فأرجوكِ تعالي معي لتري ما به.

هرعت ندى إليه لتجده مستلقيا على سريره ومتعب للغاية فأخذت تتفحصه وتسعفه وهي قلقة عليه للغاية، ثم أعطته

دواء هدأ يوسف على أثره بعض الشيء، ونظر يوسف إلى ندى وجدها تبكي فاعترته الدهشة ووضع قناع الأكسجين جانبا وقال:

- هل حالتي خطرة إلى هذه الدرجة؟

فنظر حسن إليها مندهشا هو الآخر وقد قلق على يوسف فسألها:

- أرجوكِ يا ندى أخبرينا ما به؟

- صديقك كذب عليّ فقد أخفى عني أنه مريض بالقلب

قال حسن وهو مندهش:

- هل أنت مريض بالقلب يا يوسف؟

- أعتقد أني ورثت المرض من والدي

فسارعت ندى بالقول:

- لا تقل ذلك فأنت حالتك مستقرة ولست كما كان والدك، أنا لا أعلم ما الذي حدث لترهق نفسك على هذا النحو

- هل تهتمين حقا؟

نظرت ندى إلى حسن الذي فهم وقرر أن ينسحب ليتركهم يتحدثوا بحرية.

جلست ندى إلى جانبه وقالت:

- هذا السؤال ليس له معنى بالمرة.. لقد تعجبت من أسلوب حديثك الأخير معي .. ماذا حدث لتتغير من ناحيتي هكذا؟

- ندى.. هل أنتِ مرتبطة ؟

- لا

- إذن من يكون (قلبي) المسجل اسمه على هاتفك

- و ما الذي يهمك في ذلك؟

- لأنني اهتم لأمرك كثيرا

علت الابتسامه على وجه ندى ثم قالت:

- أنا لست مرتبطة بأحد ولقد كان ذلك الرقم لخالتي؛ فأنا أطلق عليها هذا الاسم، ولكني فوجئت بابن خالتي يخبرني بأنه يريد الارتباط بي وقد شجعه على ذلك موافقة والدتي على الموضوع، ولكني غير موافقة

- حمدا لله، ندى.. أنا أريد الارتباط بكِ

- ألا تستبق الأمور؟.. فنحن لم نتعرف على بعض سوى من أيام قليلة

- لا يا ندى أنا أعرفك من قبل ذلك بكثير

- .كيف ذلك؟

- .أنتِ أيضا كنتِ تعرفينني منذ زمن لا تنكري ذلك

بالرغم أن حديثه صحيح إلا أنها اندهشت منه.. كيف قرأ ما بداخلها.. هل هي شفافة لهذه الدرجة أمامه؟!

قاطع تفكيرها عندما قال:

- أنا آسف أنني تحدثت إليكِ بهذه الطريقة؛ فأنا قد فهمت خطأ

- دعك من كل هذا الآن .. فور عودتنا ستذهب معي إلى المشفى التي أعمل بها لنجري لك الفحوصات اللازمة لنطمئن عليك ولا جدال في ذلك الأمر

- كما تشائين.

عاد يوسف وندى إلى القاهرة، وفور وصولهما أخذته ندى على المشفى ليقوم بعمل الفحوصات الازمة له والاطمئنان عليه، وبعد الانتهاء من جميع الفحوصات جلست ندى مع الدكتور أحمد وهو مديرها بالمشفى وسألته عن طبيعة مرض يوسف فأجابها بأنه نفس مرض والده فُصدمت ندى و قالت:

- أليس هناك أية عملية جراحية لحالته ؟
- هناك عملية زرع قلب
- هذا سيتطلب أحد من نفس فصيلة دمه
- بالضبط وللأسف فصيلته نادرة
- وماذا سنفعل؟
- ليس هناك حل سوى الانتظار.

دخلت ندى إلى يوسف وأخبرته عن العملية ونسبة نجاحها المعقولة وبرغم ثبات ندى إلا أن يوسف شعر بقلقها فقال:

- طالما أنتِ بجانبي فأنا لن أقلق قط، وأريدك أنتِ أيضا ألا تقلقي عليّ.

قاطع حديثهم أخته يمنى التي دخلت عليهم فجأة، واستنكرت تماما وجود ندى إلى جانب يوسف وقالت:

- ماذا تفعلي هنا ؟! .. ألا يكفيكِ ما فعلتيه بنا

قالت ندى: أرجوكِ اخفضي صوتك فنحن هنا في مشفى، وأخيكي متعب، ثم قالت ندى ليوسف:

- سأتركك الآن وإن احتجت شيء فأنا إلى جانبك لن ابتعد كثيرا

فور خروجها قالت يمنى له:

- ماذا كانت تفعل هنا هذه القاتلة ؟

- لا تُلفقي لها الاتهامات فأنا أعلم جيدا أنها بريئة مما قلتيه عنها

- هل تصدقها و تكذب أختك؟!

- بل أصدق ما قاله والدي عنها .. لقد أوصاني بأن أتزوجها

- ماذا ؟! .. هذا على جثتي أنا لن أترك تلك الأفعى تفعل هذا وتحقق مرادها

- لا تتحدثي عنها كذلك وانظري إلى نفسك قليلا، انسيتي ما فعلتيه بنا فيما مضى

- ماذا فعلت؟ .. لقد تزوجت مما أحببته، ولم أكن أعرف وقتها أنه محتال وتزوجني لنقود أبي

- لقد تزوجتيه دون إذن والدك وكاد أن يموت كمدا بسببك، ومع ذلك لم تتعظي مما حدث معكِ وتزوجتي من غيره و غيره، ولم تلقي لسمعتنا بالا

توترت يمنى إلى أقصى درجة عندما ذكرها بكل ما فعلت، وزاد من توترها عندما تذكرت عندما أرادت أن تطمئن على والدها في المرة الأخيره قبيل وفاته فرفض أن يتحدث إليها كعادته؛ فثارت عليه واتهمته بأنه قاسي القلب وأفسدت الموقف تماما، وعندئذ انفعل والدها وتوفى في ذات اليوم، ومنذ ذلك اليوم وهي تشعر أنها كانت السبب في وفاته وليست ندى كما

ادعت عليها؛ فقد كانت تكرهها لأن والدها كان يفضلها عليها، ثم أخذت تصرخ و تقول:

- لا.. إنها هي من قتلته وسآخذ أنا ثأري منها، ولن تنتصر عليّ أبدا

يوسف: أنتِ مجنونة .. ماذا تقولين؟

- سأدمرها .. سأتخلص منها لنحيا بسلام

زاد توتر يوسف ومن ثم قلبه لم يتحمل؛ فضغط على الجرس ليستدعي الممرضة، وعندما وجدته يمنى هكذا تذكرت والدها في آخر لقاء لهما وكيف توفى بسببها فأخذت تجري مسرعة، ورأتها ندى فقلقت على يوسف وذهبت إليه لتجده مريض للغاية ويصارع ليلتقط أنفاسه، ثم أسرع الأطباء إليه ليسعفوه، وقال أحد الأطباء أن حالته خطيرة وغير مستقرة فأخذت ندى تبكي، ولم تعرف ماذا تفعل فأبعدها أحد الأطباء ولكنها قاومته لترى أن مؤشرات الأجهزة لا تنبىء بخير بالمرة؛ فأخذت تصرخ و تقول:

- خذوا قلبي أنا وانقذوه أنا لا أريد أن أحيا بدونه؛ فأنا أحبه وأريده أن يعرف أني أحبه .. أنا لم أخبره بعد

أبعدها الأطباء عن غرفته تماما وأخذت الممرضات يهدئنها بغرفة الاستقبال ولكنها لم تهدأ، ثم مرت دقائق وفجأة دوت صرختها في المشفى بأكملها.

***

مَر وقت طويل حتى استفاق يوسف من البنج ووجد ندى إلى جانبه التي فور أن رأته قالت:

- الحمد لله على سلامتك

- ماذا حدث هل قمتم بإجراء العملية لي؟

- نعم ولقد نجحت العملية وأصبحت لا تعاني من شيء

- أنا لا أصدق!! .. كيف وجدتم قلب يناسبني بهذه السرعة ؟

- المهم الآن أنك بخير لا تشغل بالك بذلك

- ندى .. أريد أن أعرف قلب من هذا؟ .. لابد أن أعُوض على عائلته.. أفعل معهم أي شيء وهذا أقل واجب

ترددت ندى قليلا قبل أن تقول له:

- إنه قلب يمنى

- يمنى أختي .. كيف؟!

- فور خروج يمنى من المشفى استقلت سيارتها وانطلقت بها مسرعة و.. وتعرضت لحادث، ثم أتوا بها إلى المشفى هنا ولفظت أنفاسها الأخيرة، وعندما رأيتها لم أتمالك نفسي وتردد صراخي بأرجاء المشفى، هذا قضاء الله يا يوسف فأرجوك هون عليك

دمعت عينا يوسف وأخذ يقول :

- رحمك الله يايمنى

- أرجوك استريح الآن ولا ترهق نفسك

- لا تقلقي عليّ، ولكن ابقي بجانبي فأنتِ من تبقى لي

- أنا لن أتركك أبدا

- .أنا أحبك كثيرا يا ندى، وأريد أن يعلم العالم كله بحبي لكِ

- أما أنا فلا

- ماذا؟

قالت ندى في خجل:

- لقد علم جميع من في المشفى بالفعل أنني أحبك؛ فقد صرحت بذلك أمامهم جميعا دون وعي مني

ابتسم يوسف وأخذ يتذكر الخطاب الذي تركه إليه والده يوصيه فيه على ندى (إما أن تتزوجها أو تعطيها نقودها).

تزوج يوسف من ندى وكتب لها مؤخر صداق قيمته مليون دولار واستطاع بذلك أن يحقق وصية والده وأكثر، ثم بعد ذلك استكمل مع ندى الرحلة البحرية التي لم تكتمل من قبل، ولكن تلك المرة كانوا وحدهما.

أسرار للنشر الإلكتروني

لمزيد من الروايات يرجى زيارة موقعنا:

site
facebook
Google Play

أسرار للنشر الإلكتروني